



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرضائي

# تفريغ دروس

الْعَلَامَةُ السَّامِيَّةُ  
حَامِدُ بْنُ سَامٍ

للشيخ علي بداني

حفظه الله

الدرس رقم (٢)

المستوى الثالث

١٨ / حزيران / ٢٠٢٠ م

التاريخ: الخميس ٢٧ / شوال / ١٤٤١ هـ

## المجلس الثاني من التعليق على منظومة القلائد البرهانية

الحمد لله والصلّاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أمّا بعد:

فاليوم إن شاء الله ستكون لنا وقفة مع مقدمة منظومة القلائد البرهانية لمحمد بن حجازي رَحِمَهُ اللهُ.

نقرأ أولاً الأبيات التي ستمرّ معنا بإذن الله ثم نأخذها بيتاً بيتاً.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

|                                             |                                                  |
|---------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْبُرْهَانِي          | حَمْدًا لِلرَّبِّي مُنْزِلَ الْقُرْآنِ           |
| الوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْوَارِثِ   | وَشَارِعِ الْأَحْكَامِ وَالْمَمْلُوكِ الْوَارِثِ |
| ثُمَّ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ أَبَدًا       | عَلَى الرَّسُولِ الْقُرْشِيِّ أَحْمَدًا          |
| وَالِهِ وَصَحْبِهِ الْأَعْيَانِ             | وَتَابِعِيهِمْ وَعَلَى الْإِحْسَانِ              |
| وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِذِي الْفَرَائِضِ     | مِنْ أَفْضَلِ الْعِلْمِ بِلَا مُعَارِضِ          |
| إِذْ هُوَ نِصْفُ الْعِلْمِ فِيْمَا وَرَدَا  | فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ مُسْنَدًا             |
| وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا سَيُرْفَعُ            | مِنَ الْعُلُومِ فِي الْوَرَى وَيُنْزَعُ          |
| وَفِيهِ لِلصَّحَابَةِ الْأَعْلَامِ          | مَذَاهِبٌ مَشْهُورَةٌ الْأَحْكَامِ               |
| وَمَذَهَبُ الْإِمَامِ زَيْدٍ أَجَلِي        | لِذَا بِالِاتِّبَاعِ كَانَ أَوْلَى               |
| لَا سِيَمًا وَالشَّافِعِي مُوَافِقُ         | لَهُ وَفِي إِجْتِهَادِهِ مُطَابِقُ               |
| وَهَذِهِ مَنْظُومَةٌ مُخْتَوِيَةٌ           | عَلَى أَصُولِهِ بِهَا مُنْطَوِيَةٌ               |
| بَالْغَتْ فِي اخْتِصَارِهَا مُوضَحًا        | مُحَرَّرًا أَقْوَالَهَا مُنْقَحًا                |
| سَمَّيْتُهَا الْقَلَائِدَ الْبُرْهَانِيَّةَ | لَمَّا غَدَتْ لِطَالِبِيهَا دَانِيَّةَ           |
| وَاللَّهِ أَرْجُو النَّفْعَ لِلْمُشْتَغِلِ  | بِهَا وَأَنْ يُخْلِصَ لِي فِي الْعَمَلِ          |

قال الناظم رحمه الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ابتدأ الناظم رحمه الله هذه المنظومة بالبسملة اقتداءً منه بالكتاب والسنة، واقتفاءً لأثر النبي ﷺ والمرسلين من قبله، واقتفاءً لأثر علماء السلف الصالحين، وطلباً للبركة بذكر اسم الله ﷻ.

فإن كتاب الله ﷻ يبدأ بالبسملة، فأول ما تفتح المصحف أول ما يقع عليه بصرك بالبسملة، ونبي الله سليمان عليه السلام ابتداء كتابه إلى بلقيس ملكة سبأ بالبسملة، ﴿قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (١٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾، والرسول ﷺ كان يبدأ كتبه ورسائله إلى الملوك بالبسملة، كما في كتابه إلى هرقل عظيم الروم في صحيح البخاري، وكذلك كتابه في صلح الحديبية، وعلى هذا جرى عمل السلف في تأليفهم، البداءة بالبسملة.

الباء: في بسم حرف جر، واسم: اسم مجرور بالباء.

والجار والمجرور متعلق بمحذوف مؤخر مناسب للمقام، هذا المحذوف يصح تقديره فعلاً أو اسماً، وتقديره فعلاً أفضل، لأن الأصل في الأعمال الأفعال لا الأسماء، فتقديره حسب المراد، فإذا قدرته فعلاً وجئت تكتب وقلت: بسم الله، فمعناها: بسم الله أكتب، أو: اكتب مستعينا بالله، وإذا قدرته اسماً فيكون المراد: بسم الله كتابتي، وحين الأكل إذا قلت: بسم الله، يكون تقدير الفعل المحذوف: بسم الله أكل، أو: أكل مستعينا بالله، ويكون تقديره اسماً: بسم الله أكلي، والفعل المقدر المناسب للمقام في هذه المنظومة هو: أولف، فيكون المعنى: بسم الله أولف، أو: أولف مستعينا بالله ﷻ، وإذا قدرناه اسماً يكون: بسم الله تأليفي.

والله: علم على الباري ﷻ، وهو الذي تُضاف إليه بقية أسماء الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وقوله ﷻ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعًا وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (متفق عليه)، فتقول الرحمن والرحيم والعزیز والسمیع من أسماء الله ﷻ، ولا تقول الله من أسماء الرحمن، ولا يُسمى به غيره وهو مشتق من: أله يأله إلهة، أي: عبد يُعبد عبادةً، فالمألوه أي: المعبود محبةً وتعظيمًا. الرحمن: ذو الرحمة الواسعة العامة التي شملت كل شيء، وعمت كل حي، برهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم، وشملت حتى الدواب والبهائم، واسم الرحمن من الأسماء الخاصة بالله ﷻ لا يُسمى به غيره.

الرحيم: ذو الرحمة الواصلة الخاصة بالمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله: "الفرق بين الرحمن والرحيم، أن الرحمن: اسم دالٌّ على الصفة القائمة بالذات (صفة ذاتية)، والرحيم: اسم دالٌّ على الصفة المتعلقة بالمرحوم (صفة فعلية)".

وأما الحديث الوارد في ذلك: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أتر" فهو ضعيف لا يصح، وقد ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل.

قال النَّاطِم رحمه الله:

قَالَ مُحَمَّدٌ هُوَ الْبُرْهَانِي حَمْدًا لِرَبِّي مُنْزِلَ الْقُرْآنِ

محمد البرهاني سبق ذكره في الدرس السابق وهو مؤلف هذه المنظومة وناظمها رحمه الله، فهو محمد بن حجازي بن محمد الحلبي الشافعي، المعروف بابن البرهان، وهو: فقيه أصولي نحوي فرضي، ولد سنة ١١٤١ هـ، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٥ هـ.

قوله رحمه الله: "حمدًا لربي"، جمع المؤلف رحمه الله في بداية تأليفه بين البسملة والحمدلة، وهذه طريقة معروفة عند المؤلفين، والمؤلف رحمه الله ذكر الحمدلة بعد البسملة اقتداءً منه بكتاب الله تعالى، فإنه يبدأ بالبسملة فالحمدلة، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

والحمد مُوجب لبقاء النعمة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

والحمد معناه: وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

والفرق بين الحمد والشكر أن بينهما عموم وخصوص من وجه، فيكون:

- الحمد أعم من الشكر: الحمد يكون على المحامد والمكاره، والشكر يكون على المحامد.
- الشكر أعم من الحمد: الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح وأما الحمد فيكون بالقلب واللسان ولا يكون بالجوارح.

وقوله رحمه الله: "الربي"، الرب هو: الخالق المالك المدبر.

وقوله: "منزل القرآن"، وصف لله تعالى، لأنه هو الذي أنزل القرآن، والقرآن كلام الله مُنْزَلٌ غير مخلوق منه بدأ إليه يعود، أنزل على محمد ﷺ، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، قال تعالى: ﴿وَلَئِنَّهُ لَآتَيْنَاكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

ويُستدل بقول المؤلف رحمه الله: "منزل القرآن" على علو الله ﷻ، إذ النزول يكون من الأعلى إلى الأسفل.

ثم قال ﷺ:

## الوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الْوَارِثِ وَشَارِعِ الْأَحْكَامِ وَالْمَوْارِثِ

قوله: "الواحد"، هذا اسم من الأسماء الحسنی البالغة في الحسن منتهاه، الثابتة لله تعالى بنص القرآن، ورد ذكر هذا الاسم ست مرّات في القرآن منها قول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

قوله: "الفرد"، لم يرد ما يدلّ على أنّ الفرد من أسماء الله تعالى، لكن هو بمعنى: "الأحد" وهذا ثابت في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قوله: "القديم"، لم يرد دليل يدلّ على أنّ القديم من أسماء الله تعالى، ويورد بدله وهو ثابت، اسم: "الأول"، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قوله: "الوارث"، لم يرد بهذا اللفظ: "الوارث"، لكن ورد بلفظ الجمع الدال على التعظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

وباب الأسماء والصفات قد سبق وأن درستموه بشيء من التفصيل في المستوى الدراسي الثاني في مقرر العقيدة، وقد شرح شيخنا الرّملي حفظه الله كتاب الشيخ ابن عثيمين ﷺ: "القواعد المثلى".

والخلاصة أنّ أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية على النص، لامجال للعقل فيها أبداً، فإنّنا نثبت ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو أثبتته له نبيه ﷺ في سنته الصحيحة الثابتة، ثم إنّ باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأنّ الصفات تؤخذ من الأسماء وتؤخذ من الأفعال، فمن الأسماء، اسم الله: الرحيم يدلّ على صفة الرحمة، واسم الله: الغفور يدلّ على صفة المغفرة، ومن الأفعال فإنّنا نصف الله ﷻ بالاستواء وبالمجيء ومجري السحاب وهازم الأحزاب وشارع الأحكام وغيرها كثير.

قوله: "وشارع الأحكام"، أي: واضع الأحكام وموضحها، والله ﷻ هو الذي وضع الأحكام للناس وتعبدهم بها. والأحكام: جمع حكم، وأحكام الله تنقسمين إلى قسمين:

- حكم كوني: وهو ما قضاه الله كوناً، ويكون فيما يحب الله وفيما لا يحب، وهذا لا يتخلف أبداً.
- حكم شرعي: وهو ما قضاه الله شرعاً، وهذا لا يكون إلّا فيما يحب الله، وهذا قد يتخلف.

والمراد في قول المؤلف ﷺ: "وشارع الأحكام" الأحكام الشرعية لا الكونية.

والأحكام جمع حكم، وهو في اللغة القضاء.

وفي الاصطلاح: ما اقتضاه خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين من طلب أو تخيير أو وضع.

فيدخل في الطلب الأمر والنهي سواء على سبيل الإلزام (الواجب والمحظور) أو على سبيل الأفضلية (المندوب والمكروه)، ويُقصد بالتخير: الإباحة، ويُقصد بالوضع: السبب والشرط والمانع والصحيح والفساد، وعليه فإن الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين:

أحكام شرعية تكليفية: وهي الأحكام الخمسة: الواجب والمندوب والمباح والمحظور والمكروه.

أحكام شرعية وضعية: وهي الأحكام الخمسة: السبب والشرط والمانع والصحة والفساد.

هذه كمراجعة لما سبق لكم دراسته، ويُرجع إلى تفصيل كل هذا إلى مقررات أصول الفقه.

قوله ﷺ: "والموارث"، يعني الموارث، فالله ﷻ كما مر معنا في المقدمة هو الذي شرع الموارث فبينها ووضعها لعباده ولم يدعها لنبي مُرسَلٍ ولا لملكٍ مقربٍ، وذلك في ثلاث آيات مفصّلة في سورة النساء.

والموارث في اللغة: البقاء، والميراث قسمان:

• ميراث حسي: كميراث المال والأراضي وغيرها من المحسوسات، وتحت هذا الميراث يندرج قول النبي

ﷺ: "إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نَوْرَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ"، والحديث متفق عليه بلفظ: "لأنورث، ما تركنا صدقة".

• ميراث معنوي: هو ميراث النبوة والعلم، وفي هذا النوع يندرج قول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾،

ويندرج هنا كذلك قول الرسول ﷺ: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا

دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ" أخرجه أبو داود وصححه الألباني رحمه الله.

وبهذا التقسيم يتبين لك وجه الجمع بين الحديث في المثال الأول، والآية والحديث في المثال الثاني.

وأما الميراث في الاصطلاح فهو: حقٌّ قابلٌ للتجزؤ ثبت لمستحقٍ بعد موت من كان له لقرابة أو نحوها.

وفي قول المؤلف رحمه الله: "والموارث" براعة استهلال، ومعنى براعة الاستهلال أن يأتي المؤلف في مقدمة كلامه بما يدل على موضوعه الذي يريد أن يؤلف فيه، فجاء بلفظة الموارث ليبين لنا أن موضوع نظمه هذا في علم الموارث.

ثم قال ﷺ:

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدًا عَلَى الرَّسُولِ الْفُرْشِيِّ أَحْمَدًا

الصلاة من الله على الرسول ﷺ كما قال أبو العالية الرياحي وهو من علماء التابعين: "ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى"، وهذا الأثر أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه عنه تعليقاً مجزوماً به، وأمّا الصلاة من الملائكة ومن العباد على النبي ﷺ فهي الدعاء بأن يُصلي الله عليه (أن يثني عليه في الملأ الأعلى).

وأما الدعاء بالسلام للرسول ﷺ، فهو: الدعاء له بالسلامة في الدنيا وفي الآخرة: في الدنيا حال حياته ﷺ بأن يُسلم الله بدنه فلا يعتدي عليه أحد، وبعد موته ﷺ بأن يُسلم جسده من عبث العابثين، في الآخرة بأن يُسلم الله النبي ﷺ من هول يوم القيامة، ومن سلامته ﷺ سلامة شريعته، فلا يعترضها نقص ولا تبديل، وكذلك من سلامته ﷺ سلامة أتباعه.

وقرن المؤلف بين الصلاة والسلام امتثالاً منه لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

المؤلف قال: "أبدًا"، أي الصلاة والسلام على النبي ﷺ أبدًا، وأبدًا أي: دائماً، والأبد ما لا نهاية له، وهي هنا ظرف لما لا نهاية له في المستقبل، والمعنى: أن دعاءه بالصلاة والسلام على النبي ﷺ مستمر إلى ما لا نهاية له.

قوله: "على الرسول"، الرسول: هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي لا العكس، والرسول هنا هو: محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فمحمد ﷺ عبد لا يُعبد ورسول لا يُكذَّب، أرسله الله ﷻ إلى الثقلين الجن والإنس كافة، وهو أكثر الرسل أتباعاً، خاتم النبيين والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، وهو أحد أولي العزم من الرسل، خليل الرحمن، حامل لواء الحمد، صاحب الحوض المورود والمقام المحمود، أول من يستفتح باب الجنة ويدخلها.

قوله: "الفرشي"، نسبة إلى قريش، وقريش أفضل قبائل العرب نسباً على الإطلاق، وأفضل قريش بنو هاشم، قال ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"، فهو ﷺ خيار من خيار من خيار.

قوله: "أحمدًا"، هذا اسم من أسماء الرسول ﷺ، ورد ذكر هذا الاسم في القرآن حكاية عن عيسى عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "سبحان الله الذي ألهم عيسى عليه السلام أن يقول أحمد بدلاً من محمد، لأن أحمد اسم تفضيل يدل على أنه أحمد الناس لله، وعلى أنه أحق الناس أن يُحمد، لأنه يُخاطب بني إسرائيل، حتى يعرف بنو إسرائيل فضل النبي ﷺ وقدره قبل أن يُبعث ولا يُفضلوا عليه أحداً. محمّد: مفعّل، لكثرة محامده عليه الصلاة والسلام، فإن محامده تفوق محامد الناس بكثير" اهـ. رحمه الله من شرحه لمنظومة أصول الفقه وقواعده.

ثم قال ﷺ:

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَعْيَانُ وَتَابِعِيهِمْ وَعَلَى الْإِحْسَانِ

قوله: "أله"، الال تطلق ويُراد بها معنيين:

- أقاربه على دينه (يعني: من آمن به منهم فقط)، وهم: بنو المطلب وبنو هاشم وزوجاته ﷺ.
- أتباعه على دينه.

فإذا ذكر مع الال الصَّحْبُ أُريد بالال أقاربه ﷺ الذين هم على دينه، وهو المقصود هنا، وإذا لم يذكر معها الصحب أُريد بها أتباعه على دينه ويدخل فيهم أقاربه على دينه لأنهم من أتباعه على دينه ﷺ. والصحب، جمع: صاحب، وهو: بمعنى الصحابي، والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك وإن تخللت ردة على الصحيح.

من لقي النبي ﷺ والتعبير بلقي أصح من التعبير برأى، ليدخل في التعريف من كان أعمى كابن أم مكتوم ﷺ. مؤمنًا به: يُشترط حال لقيه بالنبي ﷺ أن يكون مؤمنًا به لئلا يدخل في التعريف من لقيه كافرًا به محاربًا له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهم. ومات على ذلك: أي: مات على الإيمان، ولم يمت كافرًا.

وإن تخللت ردة على الصحيح: أي: لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ثم إن ارتد بعد ذلك وعاد إلى الإيمان فإنه صحابي على القول الرَّاجح.

قوله: "الأعيان"، الأعيان جمع: عين، يُقال للذهب والفضة أعيان لأنهما أعيان الأثمان، أي: أفضل وأشرف الأثمان، ويُقال للصحابة أعيان لأنهم أعيان هذه الأمة ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في العقيدة الواسطية: "ومن نظري في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله" اهـ ﷺ.

وفي جمع المؤلف ﷺ بين الال والصحب ردّ على هؤلاء الذين يزعمون موالة الال ويُبغضون الصحب وهم الرافضة عليهم من الله ما يستحقون، وأهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الفرقة الناجية يوالونها جميعًا، يوالون الال ويوالون الصحب، فلا إفراط ولا تفريط، فأهل السنة هم أهل الوسطية.

قوله: "وتابعيهم"، أي: من تبع الصحب، فهم مشوا على آثار الصحابة واقتفوا أثرهم.

قوله: "على الإحسان"، هذا تقييد للاتباع بأن يكون على إحسان، فمن الناس من اتبع النبي ﷺ واتبع أصحابه لكن على غير إحسان، فصار يخترع البدع والمحدثات، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّيْقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

ثم قال ﷺ:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِذِي الْفَرَائِضِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِلْمِ بِلَا مُعَارِضٍ

قوله: "وبعد"، أي: أمّا بعد، والأصل والسنة أن يقول الناظم: "أمّا بعد"، لكن هنا للضرورة الشعرية قال: "وبعد"، وهذه الكلمة قالوا يُؤْتَى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، وتقدير الكلام: مهما يكن من شيء بعد فكذا وكذا، فهاتان الكلمتان: "أمّا بعد" نائبتان عن شرطٍ وفعلٍ، والشرط هو: مهما، وفعل الشرط: يكن، وجواب الشرط هو: ما يأتي بعد أمّا بعد، لذلك وجب ربطها بجواب الشرط بالفاء، وهذا غالبًا، وفي مثالنا هذا قال: وبعد فالعلم، فجاء بالفاء بعد وبعد.

والمقصود: بعد الحمد والصلاة والسلام على الرسول ﷺ وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

"فالعلم بذِي الفرائض"، العلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، خرج بقولنا: إدراك الشيء عدم الإدراك بالكلية وهو: الجهل البسيط، وخرج بقولنا: على ما هو عليه، إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه، وهو الجهل المركب وهو أخطر الجهلين، لأن صاحبه لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، وخرج بقولنا: إدراكًا جازمًا، إدراك الشيء إدراكًا غير جازم، فلا يُسمى ذلك علمًا، فإن ترجح أحد الاحتمالين فالراجح ظن والمرجوح وهم، وإن تساوى الأمران فهو شك.

هذه الأمور مرّت عليكم ولكن من باب تذكير نفسي أولًا ثم تذكيركم أنتم كذلك، فالعلم يزيد بالمذاكرة.

وأما الآيات والأحاديث والآثار الواردة في فضل العلم وفضل أهله فهي أكثر من أن تحصر، والمؤلف ﷺ خصّ العلم هنا بالعلم بهذه الفرائض، فقال: "فالعلم بذِي الفرائض".

وسبق تعريفنا للفرائض وقلنا بأنّ الفرائض: جمع فريضة، أي: مفروضة.

ومن معاني الفرض في اللغة: القطع، فتقول: فرضت لك كذا من المال، أي: قطعت لك شيئًا منه.

ومن معاني الفرض: التقدير، قال الله تعالى: ﴿فَصِفْ مَا قَرَضْتُمْ﴾، أي: ما قدرتم.

وأما في الاصطلاح: فهو: معرفة من يرث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث.

وأصل تسمية هذا العلم بالفرائض أخذ من قول الله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾، أي: مُقدرًا معلومًا.

قوله: "من أفضل العلم بلا معارض"، من هنا تبعية لا جنسية إذ لو كانت جنسية لكان العلم بالفرائض أفضل العلوم على الإطلاق، ولم يقل بهذا أحد، لكنها تبعية والمعنى أنّ العلم بالفرائض من جملة العلوم التي ثبت فضلها بالكتاب والسنة.

وقد سبق أن بينّا فضيلة هذا العلم حال حديثنا على المبادئ العشرة لهذا الفنّ، فلترجع، وملخص ما ذكرناه أنّه لم يثبت دليلٌ صحيح في فضل هذا العلم بعينه، لكن كلّ ما ثبت للفقهاء من فضل عام أو خاص، فهو ثابت لهذا العلم، لأنّه من جملة العلم الشرعي.

ثم قال رحمه الله:

إِذْ هُوَ نِصْفُ الْعِلْمِ فِيمَا وَرَدَا فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ مُسْنَدًا

"إِذْ"، جاء بها هنا للتعليل، "إِذْ هُوَ"، الضمير يعود على علم الفرائض.

والمعنى: أَنَّهُ يعلل لماذا كان هذا العلم من أفضل العلم بلا معارض.

إِذْ هُوَ نِصْفُ الْعِلْمِ فِيمَا وَرَدَا فِي خَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ مُسْنَدًا

المسند: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ بسند ظاهره الاتصال، كذا عَرَفَهُ الحافظ ابن حجر رحمه الله.

لكن رغم أَنَّهُ مسند إلا أَنَّهُ ضعيف، فليس كلَّ حديث مسندٍ يكون صحيحًا، لا بد من توفر باقي شروط الصحيح وقد مرّت معكم وهي: عدالة روايته وضبطهم وعدم الشذوذ وعدم العلة.

والحديث الذي أشار إليه الناظم رحمه الله: ما روي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال: "تعلموا الفرائض فإنّها من دينكم، وإنّهُ نصف العلم، وهو أول ما يُنزع من أمتي" أخرجه ابن ماجه والحاكم والدارقطني.

قال الحافظ ابن حجر كما في تلخيص الحبير (٩٣/٣): "ومداره على حفص بن عمر بن أبي العطف، وهو متروك"، قال البيهقي رحمه الله: "تفرد به حفص بن عمر وليس بالقوي"، وتعقبه ابن الملقن كما في خلاصة البدر المنير فقال: "قلت: بل واهٍ"، قال عنه يحيى النيسابوري رحمه الله: "كذاب"، وقال البخاري رحمه الله: "منكر الحديث"، وقال ابن حبان رحمه الله: "لا يجوز الاحتجاج به بمرة"، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك متعقبًا الحاكم على سكوته: "قلت: حفصٌ واهٍ بمرة"، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع الصغير وزيادته: "ضعيف جدًا" حديث رقم: ٢٤٥١.

وأخرج نحوه الترمذي من طريق محمد بن القاسم قال: حدثنا الفضل بن دَلْهَم قال: حدثنا عوف عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تعلموا القرآن والفرائض، وعلموا النَّاسَ، فإنّي مقبوض"، وقال عقبه الترمذي: "هذا حديث فيه اضطراب".

ومحمد بن القاسم قد ضعفه أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره، والفضل بن دَلْهَم فيه لين ورُمي بالاعتزال، وفيه شهر بن حوشب والأكثر على تضعيفه لأنّه كثير الأوهام.

فهذه عينة من الأحاديث التي يستدل بها من قال بقول المؤلف رحمه الله وقد بينا حالها والحمد لله.

ثم قال ﷺ:

وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا سَيُزْفَعُ مِنَ الْعُلُومِ فِي الْوَرَى وَيُنْزَعُ

للحديث الذي تقدم، وفيه: "وهو أول ما يُنزع من أمتي" لكن بينا أنه حديث ضعيف، لا يصلح للاحتجاج.

والحاصل أن العلم في آخر الزمان يُفقد، والأحاديث في ذلك كثيرة منها ما هو في الصحيحين:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَتَقَارِبَ الزَّمَانُ، وَتُظْهِرَ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ - وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ".

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا، يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيُنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ، وَالْهَرْجُ: الْقَتْلُ".

ورفع العلم يكون بفقد العلماء، قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ الصَّدُورِ وَلَكِنْ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ" (متفق عليه).

فالذي يفقد في آخر الزمان قرب قيام الساعة العلم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، والفرائض من هذه العلوم، وهذا خلافا لما شاع وذاع واشتهر من أن هذا العلم هو أول ما سيفقد.

ثم قال ﷺ:

وَفِيهِ لِلصَّحَابَةِ الْأَعْلَامُ مَذَاهِبٌ مَشْهُورَةٌ الْأَحْكَامُ

"وفيه": أي: في علم الفرائض، "للصحابة": جمع صحابي، وسبق تعريف الصحابي.

"الأعلام": جمع علم، وهو في الأصل الجبل، وسُي الجبل علما لأنه يُهتدى به، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ

الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾، فهذه السفن في البحر كالجبال من حيث أنها كالأعلام، والصحابة رضي الله عنهم يُهتدى بهم،

لذلك كانوا أعلاما، قال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها

وعضوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود والترمذي من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.

قوله: "مذاهب"، جمع مذهب، وهو ما قاله المجتهد بدليل ومات قائلًا به.

قوله: "مشهورة الأحكام"، الذي يظهر من كلام المؤلف رحمته الله أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في هذا الباب حتى كان

لهم مذاهب مختلفة والصواب غير ذلك، فالخلاف بينهم فيها يسير وقليل مقارنة بغيرها من الأحكام.

والصحابة الذين عُرفوا باشتغالهم بهذا العلم وعناهم التأظم بقوله هذا منهم:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنه، زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ثم قال رحمه الله:

وَمَذْهَبُ الْإِمَامِ زَيْدٍ أَجَلِي لَذَا بِالِاتِّبَاعِ كَانَ أَوْلَى

الإمام: هو من تبعه الناس وصار له مذهب يُعرف به، كالأئمة الأربعة، وليس كل عالم إمامًا.

زيد: هو زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري الخزرجي رحمه الله، كنيته: قيل أبو سعيد وقيل أبو عبد الرحمن وقيل أبو خارجة.

قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، وردّه النبي ﷺ يوم بدرٍ لصغره، ثم شهد أحدًا وما بعدها، توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقيل: ست وخمسين، وكان من كبار علماء الصحابة وأعيانهم رضي الله عنه، وكان إمامًا في الفرائض، تبعه الناس في أصول مذهبه.

ثم نحن الآن نورد سؤالاً على الناظم رحمه الله ونقول: لماذا اخترت مذهب زيد على غيره من مذاهب الصحابة؟ فبدأ الناظم يبرر ذلك فقال: "ومذهب الإمام زيد أجلى"، أجلى: من الجلاء وهو الظهور والوضوح.

قوله: "لذا بالاتباع كان أولى"، أي: من أجل أنه واضح وظاهر كان أولى بالاتباع من غيره، وليس هذا على إطلاقه، إذ الحق لا ينحصر في شخص بعينه، فقد خالف زيداً رضي الله عنه في بعض مسائل هذا الفن جلُّ الصحابة رضي الله عنهم، كمسألة الجد والإخوة، وقد قال الإمام مالك رحمه الله: "كلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر" ويشير إلى قبر النبي ﷺ.

ومالكُ إمامُ دارِ الهجرة قال وقد أشار نحو الحجرة

كلُّ كلامٍ منه ذو قبُول ومنه مردودٌ سوى الرسول

وهم يستدلون على إمامة زيد رضي الله عنه في هذا العلم بحديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

قال شيخنا علي الرملي حفظه الله في شرح الرحبية: "هذا الحديث ورد عن أنس بن مالك وعن ابن عمرو عن غيرهما ولكنه حديث ضعيف، أصحها وهو أجودها هو حديث أنس، وحديث أنس ورد من طريقين من طريق موصول وهو الذي ليس فيه إلا فضيلة أبي عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، وهذه القطعة أخرجها البخاري في صحيحه، وأعرض عن بقية الحديث في إشارة منه رحمه الله إلى ضعف الحديث".

قال الحافظ في الدراية: "حديث أفرضكم زيد أخرجه أحمد وأصحاب السنن إلا أبا داود وصححه الحاكم وابن حبان من حديث أنس رضي الله عنه وهو معلول". اهـ.

وقال الحافظ في التلخيص الحبير: "وقد أعلّ بالإرسال، وسماع أبي قلابة من أنس صحيح، إلّا أنّه قيل: لم يسمع منه هذا، وقد ذكر الدارقطني الاختلاف فيه على أبي قلابة في العلل، ورجح هو وغيره كالبيهقي والخطيب في المدرج أنّ الموصول منه ذكر أبي عبيدة، والباقي مرسل..." إلى آخر كلامه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "وبعضهم يحتج لذلك بقوله: "أفرضكم زيد"، وهو حديث ضعيف، لا أصل له، ولم يكن زيدٌ على عهد النبي صلّى الله عليه وآله معروفًا بالفرائض" اهـ رحمته الله من مجموع الفتاوى (٣١/ ٣٤٢).  
فالحديث على شهرته غير صحيح، والشهرة هنا بغير معناها الاصطلاحي، وإنّما نعني شهرته على الألسن.

وهذه تأخذها كالقاعدة تمشي عليها، إذا جاء حديث عند البخاري ومسلم أو عند أحدهما وعليه زيادات فكن على حذر من هذه الزيادات، فقد يكون فيها نظرًا، وقد تكون غير ثابتة، وإنّما أعرضنا عنها عمدًا منهما لعدم ثبوتها.

قال رحمته الله:

لَا سِيَّمَا وَالشَّافِعِيُّ مُوَافِقٌ لَهُ وَفِي اجْتِهَادِهِ مُطَابِقٌ

"لا سيّما": هذه الكلمة يؤتى بها للدلالة على أنّ ما بعدها سبب لما قبلها، فيكون المعنى أنّ مذهب زيدٍ أولى بالاتباع لا سيّما وأنّ الشافعي موافق له، فمن أجل موافقة الشافعي رحمته الله لزيد رضي الله عنه دلّ هذا على صحّة مذهب زيد رضي الله عنه.

"والشافعي": هو الإمام المعروف صاحب المذهب المتبع العالم المحقق المجتهد: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي المطلبي، يلتقي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في عبد مناف، توفي رحمته الله سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة.

قوله: "وفي اجتهاده"، الاجتهاد هو: بذل الجهد للوصول إلى الحكم.

"مطابق": فوافق اجتهاد الشافعي رحمته الله اجتهاد زيدٍ رضي الله عنه، وليس هذا تقليدًا من الشافعي رحمته الله لزيدٍ رضي الله عنه، إذ التقليد اتباع قول القائل بغير النظر في أدلته.

ثم قال رحمه الله:

وَهَذِهِ مَنْظُومَةٌ مُخْتَوِيَةٌ عَلَى أَصُولِهِ بِهَا مَنْطُويَةٌ

قال: "وهذه منظومة" أي: وهذه المنظومة التي بين أيدينا، "محتوية": أي: جامعة.

"على أصوله": أي: جامعة لأصول علم الفرائض، والأصول جمع أصل وهو أسفل الشيء، وهو ما يُبنى عليه غيره، بخلاف فروعه فإنها كثيرة منتشرة، وتُبنى الفروع على الأصول.

"بها منطوية": أي: هذه الأصول في هذه المنظومة منطوية، أي: مجتمعة فيها.

ثم قال رحمه الله:

بَالِغَتْ فِي اخْتِصَارِهَا مُوَضَّحًا مُحَرَّرًا أَقْوَالُهَا مُنْقَحًا

قوله: "بالغت في اختصارها": أي: بلغ غاية الحرص في اختصارها، وصدق رحمه الله فلا توجد منظومة جامعة لأصول هذا العلم مختصرة عليها، وهي تقع في ١١٢ بيتًا، وتقع الفارضية في ١٢٧ بيتًا، وتقع الرحبية في ١٧٦ بيتًا، والمختصر هو: ما قلّ لفظه وكثر معناه، وقد سردنا جملة من الأمثلة وقارنا بينها وبين الرحبية في الدرس الأول.

قوله: "محَرَّرًا أقوالها منقَحًا"، التحرير هو التخليص، أي: مُخْلِصًا أقوالها من الحشو والتكرار وذكر الخلاف.

وقوله: "منقَحًا": من التنقيح، وهو: المبالغة في التحرير والتصفية.

فأنت ترى أَنَّ النَّازِمَ رحمه الله بذل جهدًا كبيرًا، اختصر ووضح وحرر ونقح، فلا يثقل عليها أيها الطالب حفظ هذه المنظومة وفهمها.

قال رحمه الله:

سَمَّيْتُهَا الْقَلَائِدَ الْبُرْهَانِيَّةَ لَمَّا غَدَتْ لِطَالِبِهَا دَانِيَّةَ

تسميتها: "القلائد البرهانية" كانت من الناظم رحمه الله.

القلائد: جمع قلادة وهو ما يُزين عنق المرأة من الذهب وغيره.

البرهانية: نسبة إلى الناظم لأنه كان يُعرف: بابن البرهان.

قوله: "لَمَّا غَدَتْ لِطَالِبِهَا دَانِيَّةَ" سبب تسميتها القلائد البرهانية أنها لطالبها دانية أي: قريبة.

فكأنّه يقول أَنَّ هذه المنظومة كمجموعة من القلائد التي تكون على الرقبة فهي قريبة المأخذ، سهلة التناول على نفاستها، فكذلك هذه المنظومة نفيسة وقريبة وواضحة لطالبها، وهذه بشارة من الناظم رحمه الله إلى دارس هذه المنظومة وهذا العلم.

ثم قال ﷺ:

وَاللّٰهُ اَرْجُو النَّفْعَ لِمُشْتَغِلٍ بِهَا وَأَنْ يُخْلِصَ لِي فِي الْعَمَلِ

اللّٰهُ: مفعول به مُقَدَّم، وتقديم ما حَقُّه التأخير يفيد الحصر، فيكون المعنى: أرجو النفع من الله لا من غيره. وهذا دعاء من الناظم ﷺ أن ينفع الله من اشتغل بهذه المنظومة، ونحن شُغلنا سيكون في هذه المنظومة بإذن الله ﷻ، فارجو الله أن ينفعنا بها كما نفع بها غيرنا.

قوله: "وأن يخلص لي في العمل"، المؤلف ﷺ يسأل الله الإخلاص، ونحن كذلك نسأل الله الإخلاص.

والإخلاص يا أحبة عزيز وهو من أهم الآداب المتعلقة بالطلب، فينبغي للطالب أن يبتغي بطلبه للعلم وجه الله والدار الآخرة، لا يرجو ثناء الناس وشكرهم ومدحهم، ولا يبتغي الدنّيا بطلبه للعلم أو يبتغي نيل الشهادة ليذكر بين الناس، لأنّ طلب العلم عبادة والعبادة كي تقبل لا بد فيها من إخلاص لله تعالى ومتابعة للنبي ﷺ، فينوي الطالب رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، وإن جاءه شيء من أمور الدنيا فالحمد لله، خير على خير وإلا فلا يضعه نصب عينيه، والله ﷻ أعلى وأعلم.

إلى هنا انتهت المقدمة التي قدم بها الناظم ﷺ لمنظومته.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.